صَدقَ الإمامُ الزَّاهدُ
شهابُ الدِّين أحمد بن مرِّي الحَنبليُّ رحمه اللهُ

د. أَمِيرُ بْنُ أَحْمَدَ قَرَوِيّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فحينَ تَصفُّحي بلَهَفٍ -كما هو حالُ غيري- كتابَ «جامعِ الفُصولِ»، المشتمل على جملةٍ مِن رسائلَ ومسائلَ للإمامِ الهُمامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والَّتي اجتهدَ في جمعِها وتحقيقِها والعنايةِ بها الشَّيخُ الفاضلُ عبدُ الله بنُ عليٍّ السُّليمان آل غَيهَب وفقَّه الله =تَذكَّرتُ ما قالَهُ الإمامُ الزَّاهدُ شهابُ الدِّين أحمدُ بنُ مرِّي الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أحدُ تلاميذِ شيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة الحرَّانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتابه إلى حنابلةِ دِمشقَ يُعزِّيهم بمَوتِ شيخِ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ قال [ص: ١٨ -نشرة محمَّد بن إبراهيم الشَّيباني-، ص: ١٩٨ -الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة-]: «...**فلا تَيْأسوا مِن قَبولِ القُلوبِ القَريبةِ والبعيدةِ لكلام شَيخِنا، فإنَّه -ولله الحمدُ- مقبولٌ طَوعاً وكرهاً، وأين غاياتُ قَبول القُلوب السَّليمة لكلماتِه، وتتبُّع الهِمَم النَّافذة لمباحِثِه وتَرجيحاتِه، ووالله -إن شاء اللهُ- ليُقِيمَنَّ اللهُ سبحانه لِنَصْرِ هذا الكلامِ ونَشرِه وتَدوينِه وتَفهُّمِه، واستخراجِ مَقاصِدِه، واستحْسانِ عَجائبِه وغَرائبِه =رجالاً هُم إلى الآنَ في أصْلابِ آبَائِهم...**».

إي واللهِ، فقد صَدقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشواهدُ هذا أكثر مِن أن تُذكَر، ويكفي دليلاً على ذلك هذا الجامعُ الماتعُ الباهرُ، الذي هو ضِمنَ سلسلةٍ تهدفُ لنَشرِ (٥٠٠٠) صفحةٍ ممَّا لم يَسبِق نشرُه -أو كان في حكمِه- مِن تُراثِ الإمامِ تقيِّ الدِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأغربُ ما زَخَرَ به هذا الجامعُ -ممَّا يُجَلِّي قَسَمَ الإمامِ ابنِ مُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويُوضِّحُه- تلكَ المسألةُ في: (**تَبْيِينِ حالِ أهلِ البِدعِ والزَّيغِ والضَّلالاتِ**)؛ وهي السَّادسةُ في هذا

المجموعِ المُباركِ (ص: ١٩٩-٢٠٤)، ولك أنْ تذهَل إذا عَلمتَ أنَّ هذه المسألةَ وُجِدَت على (**غاشية**) المُجلَّدةِ الأولى من كِتابِ (**لسان الميزان**) للحافظِ أبي الفضلِ ابنِ حجرٍ العَسقلانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المحفوظةِ في مكتبةِ داماد إبراهيم (٣٩٣)، وقد كُتِبَت بخَطٍّ مُعتَرِضٍ، وعُنونَ لها بـ(فائدة):

فانظر كيفَ حَفظَ اللهُ لنا هذا الجوابَ العظيمَ مِن شيخِ الإسلامِ ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو شاهدٌ لما قالَهُ وأقْسَمَ عليه الإمامُ الزَّاهدُ ابنُ مُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد قالَ الإمامُ الحافظُ ابنُ عبدِ الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العُقود الدُّريَّة في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة» (ص: ١٠٧-١٠٩): «**قال الشَّيخُ أبو عبدِ الله [ابن رُشيِّق]: لو أرادَ الشَّيخُ تقيُّ الدِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو غيرُه حَصْرَها -يعني مُصنَّفات الشَّيخ- لَمَا قَدِرُوا؛ لأنَّه ما زالَ يَكتُبُ، وقَد مَنَّ اللهُ عَليهِ بِسُرعَةِ الكتابةِ، ويَكتُبُ مِن حِفظِهِ مِن غَيرِ نَقلٍ. وأخبرني غَيرُ واحدٍ أنَّهُ كَتبَ مُجلَّداً لَطيفاً في يَومٍ، وكتبَ غَيرَ مَرَّةٍ أربعينَ ورقةً في جَلسةٍ وأكثر، وأحْصَيتُ ما كَتَبَهُ وبيَّضَهُ في يومٍ فكان ثمانِ كراريسَ، في مَسألةٍ مِن**

أشكلِ المسائلِ.

وكان يَكتبُ على السُّؤالِ الواحدِ مُجلَّداً. وأمَّا جوابٌ يَكْتُب فيه خمسينَ ورقةً، وسِتِّينَ، وأربعين، وعِشرينَ، فكثيرٌ.

وكان يكتبُ الجوابَ، فإن حَضَرَ مَن يُبيِّضُه وإلَّا أخذَ السَّائلُ خطَّهُ وذَهَبَ.

ويكتبُ قواعدَ كثيرةً في فنونٍ مِن العِلمِ؛ في (الأصول) و(الفُروع) و(التَّفسير) وغير ذلك، فإن وُجِدَ مَن يَنقُلُه مِن خَطِّه وإلَّا لم يَشْتَهِر ولم يُعرَف، ورُبَّما أَخَذَهُ بعضُ أصحابِه فلم يَقْدِر على نَقلِهِ، ولا يَرُدُّه إليه، فيَذْهَب.

وكان كثيراً ما يقولُ: «قد كتَبتُ في كذا وفي كذا».

ويُسأَلُ عن الشَّيءِ فيقولُ: «قد كَتَبتُ في هذا فلا يُدْرَى أين هو؟»، فيَلتَفِتُ إلى أصحابِه ويقولُ: «رُدُّوا خَطِّي وأظهِرُوهُ ليُنْقَلَ»، فمِن حِرصِهِم عليه لا يَرُدُّونَه، ومِن عَجْزِهم لا يَنْقُلونَه، فيَذهَب ولا يُعرَفُ اسمه، ولا أين هو.

فلهذه الأسبابِ وغَيرِها تَعَذَّرَ إحصاءُ ما كَتَبَهُ وما صَنَّفَهُ.

وما كَفَى هذا، إلَّا أنَّهُ لَمَّا حُبِسَ تَفَرَّقَت أتباعُه، وتَفَرَّقَت كتبُه، وخَوَّفُوا أصحابَه مِن أن يُظهِرُوا كتبَهُ -ذهبَ كلُّ أحدٍ بما عِندِهُ وأخفاهُ، ولم يُظهِرُوا كُتُبَهُ، فبَقِيَ هذا يَهرُبُ بما عِندَهُ، وهذا يَبِيعُه أو يَهَبُه، وهذا يُخفِيهِ ويودعه، حتَّى إنَّ مِنهم مَن تُسْرَقُ كتبُه أو تُجْحَدُ، فلا يَستطيعُ أن يَطلُبَها، ولا يَقدِرُ على تَحصِيلِها!! فبِدونِ هذا تتمزَّقُ الكتبُ والتَّصانيفُ كلَّ تمزُّقٍ!

ولولا أنَّ الله تعالى لَطَفَ وأعانَ ومنَّ وأنعمَ، وخَرَقَ العادةَ في حِفظِ أعيانِ كُتُبِهِ وتَصانِيفِه لَمَا أمْكَنَ أحداً أن يَجْمَعَها.

ولقد رأيتُ مِن خَرق العادةِ في حفظِ كُتُبِه وجَمْعِها، وإصلاحِ ما فَسَد مِنها، ورَدِّ ما ذَهبَ منها -ما لو ذَكَرتُه لكانَ عَجَباً، يَعلَمُ بهِ كُلُّ مُنصِفٍ أنَّ لله عنايةً به وبِكلامِهِ؛ لأنَّه يَذُبُّ عن سُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ تَحريفَ الغَالينَ، وانتِحالَ المُبطِلينَ، وتَأويلَ الجاهِلينَ»، انتهى. وهذا الكلامُ مِن الإمامِ ابنِ عبد الهادي شاهدٌ ومُصَدِّقٌ لِمَا قاله الإمامُ ابنُ مُرِّي

رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

وإنِّي أنصحُ نفسي وإخواني وجميعَ المسلمين بالعنايةِ بمُصنَّفاتِ هذه الإمام البحرِ الحَبرِ، ما طُبعَ منها، وما سيُطبعُ بإذن الله تعالى وتيسيره.

كما أنصحُ باقتناءِ ما طُبعَ مِن رسائلَ ومسائلَ ونصوصٍ كاملةٍ ممَّا اعتنى بها أخونا الشَّيخ عبدُ الله بنُ عليٍّ السُّليمان آل غَيْهَب وفقَّه الله، والتي صدَّرها بـ(النَّصِّ الأكملِ) لـ: «قاعدة في أنَّ كلَّ دليلٍ عقليٍّ يحتجُّ به مبتدعٌ ففيه دليلٌ على بطلانِ قوله»، ثمَّ: «جامع الفصول»، ونحنُ في شوقٍ -كُنَّا وما زلنا- للوقوف على المزيدِ مِن العِذاقِ الحَواني، والثَّمرِ المُستطابِ الدَّاني، مِن تراثِ شيخِ الإسلامِ أبي العبَّاس ابن تيميَّة الحفيدِ رحمه الله تعالى.

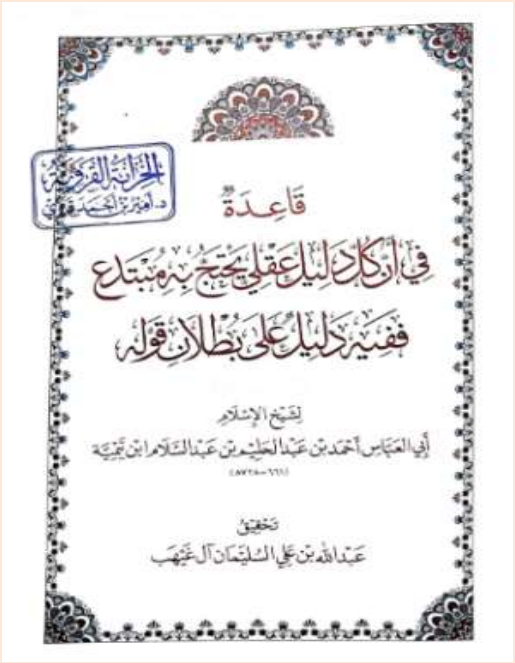

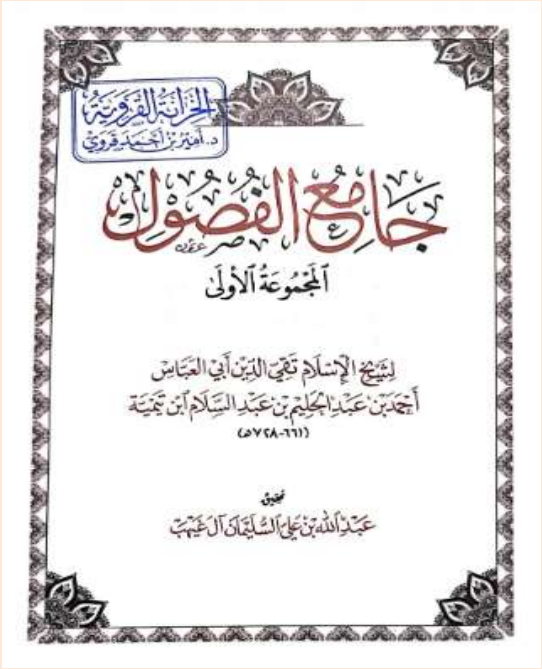

والحمدُ لله ربِّ العالمين

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين

ليلة الأحد: ٥ ذو الحجة ١٤٤١هـ